مجلة فصل الخطاب Journal of Faslo el-khitab
ISSN: 1071-2335/ E-ISSN: 2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 10، عدد رقم: 03، سبتمبر 2021، صص: 183-194
تاريخ الاستلام(2021/11/12)تاريخ القبول (2022/01/06)تاريخ النشر (2022/03/30)

الدلالة الصوتية للصوائت الطويلة في قصيدة تلك الصحافة للطيب العقبي

The Phonetic Indication of the Long Vowels in the Poem: "That Press" by Tayeb Al-Uqbi

بلهواري محمد
جامعة أحمد بن بلة ـ وهران1 (الجزائر)، belhaouarimohammed@gmail.com

ملخص:

إنّ اللغة العربية تتميّز بنظامها الشامل لكلّ المستويات الصوتية والتركيبية والدلالية، حيث تتوزّع الوحدات اللغوية في كلّ مرّة منها لتجسّد لنفسها دلالة مفيدة، فالاسم يختلف عن الفعل في جميع المستويات، والحرف آخر هذه الأقسام يتوزّع في هذه الأخيرة ليجعل لنفسه في كلّ مرّة طبيعة تختلف عنهما. فهو في المستوى الصوتي يمثّل رسما يحمل دلالة إذا اتصل بغيره في التركيب بصفة عامّة، وفي قصيدة الشاعر الطيب العقبي خاصة. وتبعا لذلك نطرح الإشكالية التالية: من هو الشاعر الطيب العقبي؟ وما هي المميّزات العامّة والخاصّة التي تميّز قصائده؟ وما الدلالات والجماليات التي يضفيانها على معاني أبيات القصيدة؟

كلمات مفتاحية: صوت، دلالة، صوائت، طويلة، تركيب، العقبي.

Summary:

The Arabic language is distinguished by its comprehensive system of all phonetic, structural and semantic levels, whereby the linguistic units are distributed each time to embody for themselves a useful connotation. On the phonetic level, it represents a drawing that carries a meaning if it is connected to others in the composition in general, and in the poem of the good poet Al-Aqbi, in particular. Accordingly, we raise the following issue: Who is the poet Tayeb Al-Aqbi? What are the general and specific characteristics that

المؤلف المرسل: بلهواري محمد ، الإيميل: belhaouarimohammed@gmail.com

distinguish his poems? What are the connotations and aesthetics that they give to the meanings of the verses of the poem؟
Keywords: Sound, connotation, long vowels, structure, Al-Aqbi

1.مقدمة:

قدّم الأدب الجزائري عبر مسيرته الطويلة الحافلة بالإنجازات أدباء وشعراء عظام، خلّدوا مآثرهم ومشاعرهم بالكلمة البديعة والرنّة الموسيقيّة المعبِّرة، ومن بين ما تحتفي به الذاكرة الجزائرية الشعرية عدد من الشعراء الذين ساهموا في تخليد الشخصيات البطولية ضدّ المستعمر الفرنسي، حيث إنّ كل شاعر أو مبدع عندما يستحضر في وجدانه أبناء أمّته أو جمهوره أو حتى أعدائه، مثل شاعرنا الطيب العقبي، ولا شكّ في ذلك كلّما زادت درجة الإبداع حقّق الشاعر تواجدا شعريا وتواصلا وثيقا مع أبناء بيئته في ميدان اختصاصه. إذ فائدته هي الكلمة المشكّلة من الحروف وأصواتها المناسبة والنّابعة من المجتمع أو من وسطه، وذلك أنّ اللغة ظاهرة جديرة بالدّراسة العلمية الدّقيقة لتسخير جميع الوسائل لفهم آلياتها وكشف خصائصها، لأنّ العلماء اعتبروها ألفاظا يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم، فكانت وسيلة اتصال بالطريقتين، الأولى بالصوت والثانية بالكتابة.

وقبل الولوج في هذه الدراسة، نشير إلى الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع، والإشكالية المراد معالجتها إلى جانب المنهج المتّبع، وصولا إلى بنية البحث التي تمثّل مكوّناته.

فالقصيدة التي اختيرت من أهم إنتاجاته، وذلك لما تحويه أصوات حروفها من إيحاءات عميقة ودلالات مختلفة ومتنوّعة بتنوّع صفات حروفها وأماكن حدوثها.

أمّا الإشكالية التي تسعى هذه الدراسة للإجابة عنها فهي: من هو الشاعر الطيب العقبي؟ وما المميّزات العامّة والخاصّة التي تميّز قصائده؟ وما الدلالات والجماليات التي يضفيانها على معاني أبيات القصيدة؟ والمنهج المتّبع لهذه الدراسة منهج وصفي تحليلي.

ومن المناسب أن نستمرّ في معالجة إشكالية هذا البحث بطريقة واحدة وعلى نسق واحد، تتّحد فيها العناصر وتنسجم، بدءاً بالتعريف بالمفاهيم المعنونة للدراسة.

2.الدراسة النظرية

1.2 التعريف بالشاعر الطيب العقبي:

ولد الطيب بن محمد بن ابراهيم العقبي بمدينة سيدي عقبة بسكرة في الجزائر سنة (1888م) وهو من الأعضاء المؤسّسين لجمعية العلماء المسلمين، كان له نشاط كبير في الدّعوة إلى الله في الأماكن العامّة كالمقاهي والنّوادي.

عرف بالجرأة على قول الحق ونشاطه في مجال الصحافة، كما عرف بكثرة مقالاته في جريدة الشهاب والبصائر التابعتين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريّين، توفي رحمه الله في 11ماي1960م1.

2.2 الدلالة الصوتية

إنّ عناية أهل الاختصاص من العرب بالصوتيات كانت منذ القدم، حيث تعود إلى اليوم الذي بدأ فيه اللحن، فأصاب العربية في أصواتها كما أصابها في نحوها وصرفها ودلالتها، ولذا عالج العرب الأصوات مع قضايا لغوية أخرى، وذلك لما لها من قيمة تاريخية وعلميّة جمّة؛ لأنّ هذه المعالجة أخذت اتّجاهات متعدّدة عند أصحاب المعاجم والنحاة والبلاغيين وعلماء التجويد والقراءات القرآنية2.

أمّا الدلالة فيعرفها الجرجاني بقوله: " الدلالة هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر والأول هو الدّال والثاني هو المدلول"3، وقد اهتمّ الشكلانيون كثيرا بالربط بين صوت الحرف والمدلول، حيث يعتبر نقطة الإنطلاق في وصف البنية الشعرية وتميُّزها نظرا لارتباطه بالإيقاع الذي يُسهم إسهاما كبيرا وفعالا في عملية الإبداع، وبناء المعنى داخل الخطاب الشعري.

وانطلاقا من هذا النص نخلص إلى أنّ الدّلالة هي معنى اللّفظ العام للعلم بوضعه أو هي معنى يفهم من بنائه أو إعرابه.

3.مفهوم الصوت

1.3لغة: فأصحاب المعاجم من العرب هم أقدم من تحدّث عن الصوتيات، والمتصفّح معجم العين الذي يعتبر أوّل معجم في اللغة العربية يُنسب إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي من أهمّ الدراسات الصوتية، وخاصّة مقدّمته التي تنمّ عن حسٍ لغويّ دقيق، إذْ تحدّث عن مجمل مخارج الحروف وصفاتها. فهو صاحب الفكرة الرّائدة والسّائدة في ترتيب الحروف حسب مخارجها4.

2.3 اصطلاحا: يعرّفها ابن جنّي بقوله: "أمّا حدّها فإنّها أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم"5، يستشف من كلامه أنّه يذكر لنا أبرز الجوانب المميّزة للغة، فهو يؤكّد الطبيعة الصوتية لها، ويذكر وظيفتها الاجتماعيّة في التعبير ونقل الفكر، كما نظرَ إليها على أنّها أصوات تحمل دلالات يقوم على أساسها التفاهم بين البشر عندما يتحدّثون ويتخاطبون في نقل الرّسالة.

4. الدراسة التطبيقية:

الدّلالة الصّوتية للصوائت الطويلة في القصيدة (تلك الصحافة):

والمعروف هنا، أنّ الألف في مقابل الفتحة، والواو في مقابل الضّمة، والياء في مقابل الكسرة، والسّير في هذا النّهج يقتضي البدء بالنّقطة التي أستهلّ بها حديث الصّوائت القصيرة، وهي صائت الواو (المقابل للضّمة)، الذي يعتبر من الصّوائت العربية التي لها دور في تحديد المعاني، وتنويع الدّلالات في الصّيغ الإفرادية وداخل المباني التركيبية، وهو ما سنوضحه في هذا الدراسة من خلال الوقوف على الدّلالة الصّوتية لهذا الصّائت في قصيدة (تلك الصحافة)، ونستهلّ الحديث ببعض المفاهيم لصائت الواو.

1.4 مفهوم الواو:

فهو صوت لغوي "مزدوج الهويّة الصّوتيّة قابل لأن يكون مرة صامتا، ومرة صائتا، فمن جهة الصّوامت هو صوت شفوي، مجهور، متوسط، مستفلّ، منفتح6، ذكر مكي درار في كتابه حيث يرتّب مع الأصوات العربيّة ترتيبا صوتيّا فيزيولوجيّا بمخرجه الشّفوي، وفيزيائيّا بصفته الجهريّة، ويرتّب مع الأصوات العربية ترتيبا أبجديّا في تنظيمها العددي، وله فيها المكانة السّادسة، وعدده ستة، في الترتيبين المشرقي والمغربي، ويرتب معها ترتيبا هجائيا، ومكانته فيها السّابعة بعد العشرين، عند المشارقة والمغاربة معا. ويبقى الترتيب الصّوتي مختلف فيه7، ومن جهة الصّوائت الطويلة، "فهو مدّ وعلة ولين وطليق ومنزلق"8، والذي يهمّنا نحن في هذه الدّراسة هو حرف الواو كصّائت طويل لا صامت، ويطلق عليه أيضا الضّمة الطّويلة، حيث لا يختلف عن صائت الضّمة القصيرة، إلا في مقدار الزمن الذي يستغرقه إنتاج كلّ من النوعين، أي: في الكميّة الزّمنية، وأنّه متى قصر حرف المدّ صار حركة، ومتى طوّلت الحركة صارت حرف مدّ9، فالواو من أصوات المدّ، شرط أن تكون مسبوقة بحركة من جنسها، وهي أيضا من أصوات اللّين شرط أن تكون ساكنة وما قبلها مفتوح، والمدّ هو كمية سمعية بصرية ثابتة10، وقولنا سمعية، لأنّنا حين نسمع أصوات المدّ ندرك الفرق الزّمني بينها وبين الصّوائت القصيرة، وهو كميّة بصريّة، لأنّ أصوات المدّ لها أشكالها الخطيّة داخل البناء اللّغوي، وقولنا كمية ثابتة، لأنّ أصوات المدّ محدّدة صوتيا، كميّتها تساوي ضعف الكمية الصّوتية القصيرة، وحروف المدّ لا تقبل تحريكا ولا إسكانا، كالواو في نحو: أدعو، والياء في نحو: أرمي، والألف في نحو: مهما، وهي هنا حركات خالصة من ناحية النّطق، ومن ناحية الوظيفة11، وسمّيت هذه الأحرف بأصوات المدّ، لأنّ الصّوت يمتدّ بها بعد إخراجها من موضعها، إلاّ أنّ المدّ الذي في الألف أكثر من المدّ الذي في الياء والواو12.

هذا فيما يخص المدّ أمّا اللّين فهو "صفة صوتين، هما الواو والياء، لأنّهما أوسع الصّوامت مخرجا، وأقربها إلى المصّوتات، أي: الحركات، في مخرجها ليونة، ولذلك سمّاها اليونان بأشباه المصّوتات، أو أشباه الصّوامت13، ومن هذا يتبيّن أنّ اللّين ليس هو المدّ، باعتبار هذا الأخير "وصف لكمية صوتية أفقية، بينما اللّين وصف لكمية صوتية مركبة، ولذلك يسمّي بعض المحدثين صوت اللّين، بالصّائت المركب14، ونرجع الحديث عن الواو، كحرف مدّ، ونبيّن الكيفية الفيزيولوجية والفيزيائية التي يحدث بها هذا الصّائت في الجهاز النطقي، حيث "تبدأ أعضاء النّطق في اتخاذ الوضع المناسب لنطق نوع من الضّمة (u)، ثمّ تترك الوضع بسرعة إلى وضع صائت آخر. وتختلف نقطة البدء اختلافا يسيرا فيما بين المتكلمين وحسب الصّائت التالي. تنضمّ الشّفتان، ويرتفع أقصى اللّسان نحو أقصى الحنك، ويسدّ الطّريق إلى الأنف بأن يرفع الحنك اللّين، ويتذبذب الوتران الصّوتيان15، لينتج صوت الواو في الجهاز الصّوتي. وبعد حديثنا عن الكيفية التي يتولدّ بها صائت الواو، نسوق الحديث إلى علاقتها بالضّمة، لنعرف أيّهما من الأخرى، (الواو من الضّمّة، أم العكس).

والمتتبّع لحديثنا في هذا البحث، يجد أنّه قد ذكرنا فيما سبق الصّوائت العربية، وقلنا فيها هي نوعان، قصيرة وهي ما يعرف بالحركة، وطويلة وهي ما يطلق عليها أصوات المد، والواو صائت طويل هناك من يراه من الضّمّة، وهناك من يرى أنّ الضّمة منه، فإذا كانت وجهة نظرنا تاريخية، وجدنا الواو سابقة للضمّة في الظّهور والاستعمال وذلك من حيث "أن الصّوامت العربية كانت مهملة خالية من العلامة الإعرابية، وأنّ علامات الإعراب والضّمّة منها، ظهرت في منتصف القرن الثاني هجري، وهي من اختراع أبي الأسود الدّؤلي، ثمّ اصطلاحات الخليل من بعده"16، أما إذا نظرنا إلى الواو نظرة صوتية وعلمنا "أنّ الصّوت يقاس بكمياته، والكميات نوعان، قصيرة وطويلة، والقصيرة جزء من الطّويلة"17، فستكون الضّمّة سابقة له، بحكم أنّ الجزء سابق للكلّ في وجوده، وصوت الواو هو امتداد لكمية الضّمة. وما يمكن أن يقال أنّ الواو سابق للضّمّة من الناحية التاريخية، والضّمّة سابقة له من حيث الكميّة الصّوتية. ومن النماذج الموجودة في القصيدة كالآتي18:

تلك الصحافة لو تندى الأكُفّ لها	لا شيء عنها مدى الأيام يُسلينا
مرحى لها ولمن قاموا بواجبها	يدعوننا علنا للحق مُصغينا
الله وفقكم قمتم بواجبكم	حققتم ما رآه الغير تُخمينا
ناشدتك الله لا تبغي بها بدلا	ولا تلج خطة في العَسْف تُردينا
واذكر حديث جدود قبلنا سلفوا	عساك بالعلم بعد الجهل تُحيينا
كم أمة أصبحت تعلو بعزتها	كانت لنيل العطا قُدما تُرجينا

والملاحظ في هذه الأبيات أنّ الألفاظ المذكورة في القصيدة (قاموا، يدعوننا)، قد ورد فيها صائت مجهور وهو (الواو) وقد يكون صامتا أيضا في حالات معيّنة، فدلّ هنا في هذه الألفاظ على الانفعال المؤثّر تماشيا مع الحركة (الضمة) التي تحدث أثناء النطق به، ليبّن أنّ شاعرنا (الطيب العقبي) يحمل ما يحمل بداخله، وأنّ أحداثه تحتاج إلى استرسال، كما مزج بين المقطع الطويل (الواو)، والمقطع القصير(الضمة)، وهذا التفاوت والتمازج يوحي بالحالة الشعورية لدى الشاعر التي ينتابها عدم الهوان والاستسلام للمستعمر الغاشم، وهذا في قوله: (قاموا بواجبها يدعوننا)، (كانوا يؤمُّون)، (وكم جموع)، (قطوفه).

2.4 مفهوم الياء:

تعتبر الياء أو الكسرة الطّويلة من الصّوائت العربية التي لها دور فعّال في تحديد المعاني واستنباط الدّلالات وتنويعها في الصّيغ الإفرادية والمباني التركيبية، والياء هي صوت لغوي مزدوج الهويّة الصّوتيّة كالواو، بحيث "في الوقت الذّي هو فيه صامت مجهور، متوسط، منفتح، يصنّف مع الصّوائت الطّويلة حين يتصف بالمدّ والعلّة واللّين والطّليق والمنزلق"19.

إذن الياء هي صوت مزدوج التّرتيب والتّنظيم قابل لأن يكون صامتا وصائتا.

من خلال ما سبق، أنّ للياء صورتين، فهي صامت صحيح، وصائت طويل، وكون الياء صامتا صحيا "أن له موقعا يختص به في الجهاز النطقي، وصفة يتصف بها وتختص به، ليتميز بها عن غيره، ويقبل جميع الصوائت على مختلف كمياتها في التعامل معها"20، وفي موقعها الفيزيولوجي يقول سيبويه: "ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى، مخرج الجيم والشين والياء"21، واستنادا لهذا النص، فإنّ مخرج الياء هو الشجر مع الجيم والشين، ويتحدث المعاصرون عن الكيفية النّطقية التي يحدث بها صوت الياء في أنّه عند النّطق به "يكون اللسان تقريبا في موضع نطق الكسرة، أي: أن الجزء الأمامي من اللسان يكون قريبا من الحنك الصلب، إلا أنّ الفجوة بين اللسان والحنك حين نطق بنصف الصائت هذا، تكون أضيق منها في حال النطق بالصائت /i/ فيسمع للياء من الاحتكاك الضعيف يجعلها اقرب إلى الأصوات الاحتكاكية، أضعف إلى ذلك الفارق بين الصائت /i/ ونصف الصائت، يكمن كذلك في المدة التي تكون أطول لدى إنتاج الصائت"22"، إذن الياء هي صوت شجري مجهور، ومتوسط، "يحتل الرتبة العاشرة في الترتيب الأبجدي؛ وقيمته العددية فيه عشرة، وله الرتبة التاسعة والعشرون في الترتيب الهجائي لمغاربي والمشرقي معا"23" وهذا هو حال الياء الصامت، ونسوق الحديث عن الياء الصائت.

وتكون الياء صائتا، "حينما لا يقبل هذا الصوت صائتا يضاف إليه، حتى يتمكن الناطق من نطقه"24"، تحدث عنه ابن جني ضمن الصوائت القصيرة والطويلة معا، فكان بعض ما قاله فيها: "وإنما سميت هذه الأصوات الناقصة حركات، لأنها تقلق الحرف الذي تقترن به، وتجذبه نحو الحروف التي هي أبعاضها، فالفتحة تجتذب الحرف نحو الألف، والكسرة تجتذبه نحو الياء، والضمة تجتذبه نحو الواو، ولا يبلغ الناطق بها مدى الحروف التي هي أبعاضها، فإن بلغ بها مدادها تكملة الحركات حروفا، أعني (ألفا، وياء، وواوا)25، فهذا النص يعتبر وصفا دقيقا للصوائت العربية بما فيها الياء التي تعتبر كمية صوتية مضاعفة للكسرة.

كما تحدث المحدثون والمعاصرون عن الياء الصائت، مع اختلاف في التسمية والمصطلح فيما بينهم، إذ نجد من أشهر المحدثين في التأليف الصوتي، إبراهيم أنيس الذي افرد في كتابه (الأصوات اللغوية) مبحثا وسمه: أصوات اللين في اللغة العربية، وكان بعض ما قاله في أصوات اللين: "إنها عنصر رئيسي في اللغات، ومع أنها أكثر شيوعا فيها، لم يعن بها المتقدمون من علماء العربية، فقد كانت الإشارة إليها دائما سطحية لا على أنها من بنية الكلمات، بل كعرض يعرض لها ولا يكون منها إلا شطرا فرعيا"26، فلقد جعل اللين مصطلحا للواو والياء عند تضعيف الكمية الصوتية للصائت السابق لهما، حيث قال: "ثم جاء عهد أحس الكتاب فيه بأهمية أصوات اللين الطويلة، كالواو والياء الممدودتين، فكتبوهما في بعض النقوش والنصوص القديمة، وظلت الحال هكذا حتى وضعت أصوات اللين القصيرة التي اصطلح القدماء على تسميتها بالحركات"27"، وفي هذا النص نجد أنّ(إبراهيم أنيس) يعقب

على ما قاله (ابن جني) في الصوائت العربية، إذ تعتبر الياء صوت مد (صائت طويل)، وصوت لين، فكونها صوت مد تقاس على ما قلناه في الواو المدية، وقولنا صوت لين أن تكون ساكنة مفتوحا ما قبلها.

وصوت الياء في اللغة العربية هو ثلاثي التصنيفات لأنه يندرج في خانات الصوامت والصوائت، وكذا أصوات اللين، فالأولى علاماتها أن تقبل الحركات الثلاث (الفتحة والضمة والكسرة)، وعلامة الثانية هي عدم قبول الحركة، ونقصد بها الياء المدية التي يكون ما قبلها مكسورا (صائت الكسرة الطويلة المضاعف للكسرة القصيرة)، وأما الياء اللينة فعلامتها أن تكون ساكنة مفتوحا ما قبلها دائما، ومعنى اللين "(منطوق يوحي بالحسن والسهولة في المعاملة والاستعمال، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ﴾28، وكان مفهوم اللين هو المطاوعة29، أما في مجال الدراسة الصوتية فقد "اختص اللين بصوتين في العربية هما: (الواو والياء) في حالة سكونهما وانفتاح ما قبلهما"30، وتختلف الياء اللينة عن المدية في الكيفية النمطية والكمية الزمنية.

فعند نطق الياء اللينة "يكون اللسان تقريبا في نطق الكسرة، أي أن الجزء الأمامي من اللسان يكون قريبا من الحنك الصلب، إلا أن الفجوة بين اللسان والحنك حين النطق بنصف الصامت تكون أضيق في حال النطق بالصائت، فيسمع احتكاك ضعيف للياء، يجعلها اقرب إلى الأصوات الاحتكاكية، بالإضافة إلى أن الفارق بين الصائت ونصف الصامت يكمن كذلك في المدة الزمنية التي تكون أطول لدى إنتاج الصائت (الياء المدية)31، والتي تساهم بقدر كبير في إخراج اكبر كمية من النفس، تتفجر من خلالها تلك الشحنة الانفعالية المكبوتة لدى الشاعر، لتخرج الأفكار الدفينة من حيز الكتمان إلى حيز الوجود، وقد سجلت الياء حضورها بقوة في أبيات القصيدة واشتمالها في الغالب جاء مجانسا للأفكار والأحاسيس، ومجسّدا للدلالات والمعاني المختلفة، وحتى نعزّز توظيف صائت الياء في الخطاب الشعري ومدى انسجامها مع المعاني والدلالات، ومن أمثلة ذلك قوله32:

حيّ الجزائر ما دامت تُحيّينا   وانهض بشعب قضى في جهله حنينا

واعمل لخير بلاد طالما هُضِمت   حقوقها، واتخِذ من حبّها دينا

وسر حَثيثا على تلك الطريق إلى   حيث المعارفُ حيث العلم يهدينا

الملاحظ في هذه الأبيات أنّ هناك ألفاظ تدل على الانفعال المؤثر (تحيينا، دينا، حثيثا، يهدينا).

هكذا نرى كيف راح شاعرنا يختار من الكلمات ما تفاعلت أصواتها تفاعلا، يوحي بحرارة ألمه تارة، وبصموده واستعلاء همّته تارة أخرى، وهذا لتعلّقه بوطنه وما ألمّ به.

3.4 مفهوم الألف:

تعتبر الصوائت العربية بنوعيها هي الأكثر شيوعا في البناء اللغوي، ولعل السبب في ذلك يعود إلى طبيعة إنتاجها، وصفاتها التي تتميز بالنطق المفتوح، وكما جرت العادة فقد عقدنا هذا الفصل لدراسة صائت الفتحة الطويلة أو ألف المد الذي له أسماء كثيرة في الاستعمال ووظائف عديدة ومتنوعة داخل

البنى اللغوية، إذ يلعب هو الآخر دورا بارزا في تحديد المعاني وتوجيه الدلالة في الصيغ الإفرادية والمباني التركيبية.

والألف صوت لغوي أليف مشتق من مادة (ألف)، جاء في لسان العرب: "ألفت فلانا إذا أنست به، وألفت بينهم إذا جمعت بينهم بعد التفرق، وألفت الشيء وصلت بعضه ببعض"33، ومنه فالألف في المعنى اللغوي هي الوصل والجمع، أما من الناحية الصوتية فالألف هي "صوت لغوي يجري معه النفس من غير أن يلقى في طريقه عقبة تمنعه من المرور، أو تحول اتجاهه إلى الألف أو تؤدي إلى تلكئة واحتكاكه بأعضاء النطق"34، كما يعتبر صائتا مجهورا، "يحدث نتيجة اندفاع الهواء في مجراه المتميز خلال الحلق والفم من غير أن يعترضه مقطع يثنيه أو يضيق مجراه"35.

والألف صوت لغوي أليف "يندرج شكله مع ترتيب وتعداد الصوامت مع أنه لا يعد منها"36، وذلك لأن الصوامت لابد أن يصحبها صائت عند النطق، والألف لا يقبل الصائت أبدا، وذلك لأنه هو في حد ذاته صائت، ولقد أدركه علماء العربية القدامى والمحدثين، إذ نجد ابن جني يقول: " أما الألف فتجد الحلق والفم معها منفتحين غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر"37، وفي هذا النص إشارة إلى الموقع الفيزيولوجي الذي تحدث فيه الألف وهو أقصى الحلق.

ولقد نص أبو عمرو الداني على أنّ الألف هي صوت هوائي كالنّفس بقوله: "هو حرف هاو ومجهور، لا معتمد له في شيء من أجزاء الفم، كالنفس وإنما هو صوت في الهواء"38، ففي هذا النص إشارة إلى صفات الألف الفيزيائية التي تكمن في كونه صائتا مجهورا هاويا، ويقصد بالهاوي (نطق يوحي بالنزول والهبوط، وهو من هوى يهوي، وفي مجال الدراسة الصوتية يختص هذا الوصف بصوت الألف أو همزة الوصل"39، ومن الصفات التي يتميز بها الألف أيضا، انه "ليس صوت لين وإن اشترك مع الواو والياء في العلة، كما لا يكون ساكنا أبدا"40.

وهكذا نجد تقاربا كبيرا في إدراك حقيقة الألف بين القدامى والمحدثين على ما بنهم من اختلاف في المصطلح "فالألف عند المحدثين نفس أو هواء مجهور"41، وهذا التعريف يتناسب مع ما جاء به أبو عمرو الداني المذكور سابقا، وفي تعريف آخر لبعض المحدثين "أنه الأمر في وضع إراحة، أي ممتدا في قاع الفم"42، وهو تعريف يتناسب مع ما قاله ابن جني والمذكور آنفا، ولما كان من أسماء الألف أنها فتحة طويلة، كان لزاما علينا أن نوضح العلاقة بين الفتحة والألف.

والحديث عن الألف المدية يفرض علينا الإشارة إلى الفتحة وذلك لكون الألف فتحة مشبعة أو فتحة طويلة إذ يقول سيبويه: "وإنما الحركات من الألف والواو والياء"43، وهو يقصد بالحركات الصوائت القصيرة (الفتحة، الضمة، الكسرة)، المقابلة للصوائت الطويلة (الألف، الواو، الياء) على الترتيب، كما قال ابن جني "إن الألف هي فتحة مشبعة والياء كسرة مشبعة والواو ضمة مشبعة، يؤكد ذلك أيضا أن العرب ربما احتاجت في إقامة الوزن إلى حرف مجتلب ليس من لفظ البيت، فشبع

الفتحة، فتولد"44، ففي هذا النص إشارة إلى أنّ الألف تولّدت من إشباع في حركة الفتحة ومن ثمة كانت فتحة مشبعة.

وقال الأنطاكي هو الآخر في علاقة الفتحة بالألف: "وتسمى الألف أيضا، وهي كالفتحة القصيرة في جميع صفاتها وأحكامها إلا في صفة الطول، إذ تبلغ أربعة أضعافها إذا وليها الإدغام أو الهمزة، فالألف في كلمة "دواب" أو كلمة "صحراء" أطول منها في كلمة "عصا"45، ومنه الألف فالألف هي صائت مجهور، يحدث في أقصى الحلق، وهو عبارة عن فتحة طويلة، بحيث لا يختلف عن القصيرة إلا في الكمية الزمنية عند النطق بهما، أي الطول، ونورد فيما يلي رسما تمثيليا قدمه (مكي درار)، يوضح فيه توجهات الصائت العربي في القناة الصوتية، بما فيها صائت (الفتحة) التي نفسر من خلالها التوجهات الصوتية للألف لاعتبارها فتحة طويلة.

رسم تمثيلي لتوجهات الصائت في القناة الصوتية46.

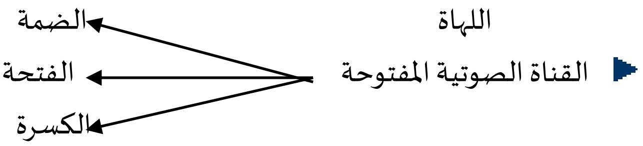

تعليق:

تظهر القناة الصوتية في هذا الرسم التمثيلي مفتوحة وصوت الفتحة يجري فيها حرا طليقا حتى إذا اعترضه معترض، تحول إما إلى أعلى في اتجاه الضم والرفع والاستعلاء، أو إلى أسفل في اتجاه الكسر والخفض والاستفال"47، وفي هذا الحال "سيكون صوت الفتحة هو المحرك والموزع في العملية الصوتية، لتوسطه القناة والصوائت"48، ومن ثمة يكون صائت الألف اخف وأسهل من غيره لأنه من الفتحة والفتحة "أخف من الضمة والكسرة"49، لوضعيتها التوسطية.

وبعد ذكر بعض المفاهيم المتعلقة بصائت الألف وكيفية تحققه، نحاول في العنصر الموالي استخلاص بعض الملامح الدلالية لهذا الصائت من خلال تحليل القصيدة للطيب العقبي والوقوف على مدى شيوعه فيها، واستنباط خلفيات هذا الشيوع.

يعكس الألف خلفيات دلالية، وأبعاد صوتية عديدة ومتنوعة في البنى اللغوية، بحيث يعتبر "صوتا مجهورا متوسطا مطاوعا، يعمل على ملء الفراغات والتجاويف ويلون الأداء، وينظم الكميات الصوتية للصوائت العربية في الاتساع والامتداد"50، فهو يلعب دورا مهما في إحداث التلوينات الصوتية وتشكيلاتها، خاصة لو أجيد استعماله، وقد استخدم الشاعر بكثرة في قصيدته، ومن أمثلة ذلك51:

مرحى لها ولمن قاموا بواجبها يدعوننا علنا للحق مُصغينا
الله وفقكم قمتم بواجبكم حققتم ما رآه الغير تَخمينا
ناشدتك الله لا تبغي بها بدلا ولا تلج خطة في العسْف تُردينا

والملاحظ هنا، أنّ الصائت (الألف) قد احتلّ المرتبة الأولى بتواتره في القصيدة، حيث أنهى الشاعر بها كلّ أبياته في القصيدة، من خصائصه لفت انتباه المستمع إلى كلام مرسل، وكأنّه يستجيب لنداء معيّن، كما أنه يساعد في الفترة الزمنية، لأنّ الألف في أصلها ما هي إلا إشباع في كميّة الهواء الصادر بالنسبة للفتحة، الأمر الذي أضفى على القصيدة مسحة جمالية، أكدت كلّ مرّة أنّ الشاعر بحاجة لمن يستمع إليه، لأنّ ما بجوفه كثير وكثير، وهذا في قوله: مصغينا، تخمينا، تُردينا..

5. خاتمة:

ومن خلال ما سبق، يتضح لنا أنّ:

- الشاعر الطيب العقبي مزج بين المقاطع الطويلة والمقاطع القصيرة، وهذا التفاوت والتمازج يوحي بالحالة الشعوريّة لدى الشاعر.
- يطالب الصحافة بترسيخ الروح الوطنية والاعتزاز بالانتماء الوطني، والحث على السير في طريق العلم والتسلّح بحب الوطن لإعادة بنائه من جديد.
- تفاوتت قصيدة الشاعر في انتقاء الظواهر الصوتية، وكذا طريقة تفعيلها في بناء نص شعري بلغة شعريّة متميّزة، حيث إنّ الشاعر الطيب العقبي قد وظّف أمكن من مقاطع صوتية طويلة وقصيرة وغيرها، بما يؤكّد الوعي الكبير بدورها في تحديد الدلالة.

مراجع البحث وإحالاته:

1- ينظر الطيب العقبي: موسوعة الشعر الجزائري، (2009م)، دار الهدى عين مليلة.

2- ينظر عبد الفتاح المصري: الصوتيات عند ابن جنّي، مجلّة التراث العربي،(1984م)، اتحاد الكتّاب العرب دمشق سوريا العددان16/15، ص232.

3- علي بن محمد الجرجاني: التعريفات، (1971م)، الدار التونسية للنشر، تونس، ص55.

4- ينظر عبد الفتاح المصري: الصوتيات عند ابن جني، ص234.

5- ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، (1913م)، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1 ص33.

6- سعاد بسناسي ومكي درار: صوتيات التَّصريف من التّوصيف إلى التوظيف، (2015م) ، دار أمّ الكتاب للنشر والتوزيع، ط1، ص118.

7- مكي درار: الوظائف الصّوتية والدّلالية للصّوائت العربية، ص329.

8- سعاد بسناسي ومكي درار: صوتيات التّصريف من التّوصيف إلى التوظيف، ص118.

9- غانم قدوري الحمد: الدّراسات الصّوتية عند علماء التّجويد، (2008م)، دار عمار، عمّان الأردن، ط2، ص296/ 297.

10- سعاد بسناسي: التّحولات الصّوتية في المباني الإفرادية، ص189.

11- ينظر أحمد زرقة: أصول اللغة العربية، أسرار الحروف، (1993م)، دار الحصاد للنّشر والتّوزيع، ط1، ص37.

12-أبو عمرو الدّاني: التجديد في الإتقان والتّجويد، (2000م)، تح: غانم قدوري، دار عمّار، عمّان، الأردن، ط1، ص107.

13- خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللّسانيات، ، 2000م، دار القصبة للنّشر، ط1، ص58.

14- مكي درار: الوظائف الصّوتية والدّلالية للصّوائت العربية، ص348.

15- محمود السّعران: علم اللّغة، مقدمة للقارئ العربي، (د.ت)، دار النّهضة العربية للطباعة والنّشر، ص180.

16- مكي درار: الوظائف الصّوتية والدّلالية للصوائت العربية، ص334.

17المرجع نفسه، ص335.

18- الطيب العقبي: موسوعة الشعر الجزائري، (2009م) دار الهدى عين مليلة.

19- سعاد بسناسي ومكي درار: صوتيات التّصريف من التّوصيف إلى التّوظيف، ص117.

20- مكي درار: الوظائف الصوتية والدلالية للصوائت العربية، ص369/368.

21- ينظر سيبويه: الكتاب، ج4، ص433.

22- بسام بركة: علم الأصوات العام، أصوات اللغة العربية، ص138، وينظر مكي درار: الوظائف الصوتية والدلالية للصوائت العربية، ص370/369.

23- ينظر سعاد بسناسي ومكي درار: المقررات الصوتية في البرامج الوزارية للجامعة الجزائرية، دراسة تحليلية وتطبيقية، ص50/49.

24- مكي درار: الوظائف الصوتية والدلالية للصوائت العربية، ص370.

25- المرجع نفسه، ص372/371.

26- إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص38.

27- إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص38.

28- سورة آل عمران الآية 157.

29- سعاد بسناسي ومكي درار، المقررات الصوتية في البرامج الوزارية للجامعة الجزائرية، ص92.

30- المرجع نفسه، ص93.

31- ينظر أحمد زرقة: أصول اللغة العربية، أسرار الحروف، (1993م)، ط1، ص41/40، وينظر سمير شريف استيتيه: الأصوات اللغوية، رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، (2003م)، دار وائل للنشر، عمان الأردن، ط1، ص163، وينظر كمال بشر: علم الأصوات، دار غريب للنشر والتوزيع، ص166، /202.

32- الطيب العقي موسوعة الشعر الجزائري، دار الهدى عين مليلة.

33- ابن منظور: لسان العرب، ص916.

34- محمد الأنطاكي: المحيط في الأصوات العربية ونحوها وصرفها، ص34.

35- حسام يعيد النعيمي: أصوات العربية بين التحول والثبات، دار الكتب للطباعة والنشر، سلسلة بيت الحكمة (4)، جامعة الموصل، بغداد، ص17.

36- ينظر مكي درار: الوظائف الصوتية والدلالية للصوائت العربية، ص273.

37- حسام سعيد النعيمي: أصوات العربية بين التحول والثبات، ص17.

38- المرجع نفسه، ص18.

39- سعاد بسناسي ومكي درار: المقررات الصوتية في البرامج الوزارية للجامعة الجزائرية، ص97.

40- المرجع نفسه، ص97.

41- حسام سعيد النعيمي: أصوات العربية بين التحول والثبات، ص18.

42- المرجع نفسه، ص21.

43- سيبويه: الكتاب، ج2، ص252.

44- حسام سعيد النعيمي: أصوات العربية بين التحول والثبات، ص18

45- محمد الانطاكي: المحيط في الأصوات العربية ونحوها وصرفها، ص38.

46- مكي دار: الوظائف الصوتية والدلالية للصوائت العربية، ص53.

47- مكي درار: الوظائف الصوتية والدلالية للصوائت العربية، ص53.

48- المرجع نفسه، ص53.

49- ينظر المرجع نفسه، ص54.

50- المرجع نفسه، ص299.

51- الطيب العقبي: موسوعة الشعر، دار الهدى عين مليلة، الجزائر.

قائمة مراجع البحث:

- القرآن الكريم

1. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو، مصر ط1987/7م.

2. أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1981/1م.

3. ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب العلمية، 1913م.

4. احمد زرقة، أصول اللغة العربية، أسرار الحروف، ط1، 1993م.

5. بسام بركة، علم الأصوات العام، أصوات اللغة العربية.

6. حسام يعيد النعيمي، أصوات العربية بين التحول والثبات، دار الكتب للطباعة والنشر، سلسلة بيت الحكمة (4)، جامعة الموصل، بغداد.

7.الطيب العقي موسوعة الشعر الجزائري، دار الهدى عين مليلة.

8.خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللّسانيات، ط1، 2000م، دار القصبة للنّشر.

9. محمود السّعران، علم اللّغة، مقدمة للقارئ العربي، د.ط، د.ت، دار النّهضة العربية للطباعة والنّشر.